موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

الدَّعوة
مسؤوليَّةُ الجميع

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله خير حمدٍ وأوفاه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فيا أيها الإخوة لا شك أن موضوع هٰذه المحاضرة هو من الأهمية بما كان؛ وذلك لأن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا اليوم تنوَّعت فيها الآراء، وكثر الذين سلكوا سبيلها، فما من أحد لديه علم أو لديه فكر أو لديه رأي أو لديه شطط أو لديه انحراف إلا ويمكنه أن يدعو.

وليس الشأن في أن يدعو الإنسان، فهٰذا متاح؛ لأن الكلمة متاحة والكتابة متاحة، ولكن الشأن كل الشأن في أن تكون الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وحده، وأن يكون المقصود منها تقريب الخلق إلىٰ ربهم جلَّ وعلا، وليس المقصود منها لفت النَّظر إلىٰ شخص، أو إلىٰ جهة، أو إلىٰ حزب، أو إلىٰ رأي، أو ما أشبه ذلك.

ولذلك كانت سورة الدَّعوة في القرآن التي هي سورة يوسف -عليه السلام- فيها الكثير من هٰذه الأصول التي تبيِّن التحذير من الاغترار بالأكثر، والتأكيد علىٰ لزوم المنهج، قال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[يوسف:١٠٨]، وفي السورة نفسها في آخرها: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾، وذلك لأن أكثر الخلق ليسوا علىٰ منهج سويّ.

ولهٰذا كان الواجب علينا أن نحيي في الناس مسؤولية الدَّعوة إلىٰ الله جل وعلا، وأن نجعلها في قلوبهم وعقولهم؛ لأنَّ الشر كثير، ويجب أن يكون الخير أكثر وأكثر. وإذا لم ينشَطْ أهل الصلاح والخير لمهمّة الأنبياء والرُّسل الذين ورِثوهم واتَّبعوهم بإحسان، فإذن سوف ينتشر الشر ويزيد..

هٰذا المعرض معرض وسائل الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ يبيِّن أن الدعوة إلىٰ الله مسؤولية الجميع، ويبيِّن أن وسائلها متاحة، وأن الوسائل المشروعة كثيرةٌ جدًّا مما لا حاجة معه إلىٰ أن يكون النَّاسُ يأخذون بوسائل غير مشروعة أو بوسائل مختلفٍ فيها، فيكونُ المرء لا يدري وهو يدعو أهو علىٰ اتِّباع أم علىٰ ابتداع.

فكان من مهمَّات المعرض أن يكون هناك تعريف بهٰذه الوسائل المشروعة التي يكون معها أمانٌ؛

لأن مَن دعا إلىٰ الله -جل وعلا- مستخدمًا هٰذه الوسائل فإنه يأمن أن يكون سبيله سبيلًا حسنًا مرضيًا، وهٰذا جزء مهم في الطمأنينة في الدَّعوة.

فالدعوة في فضلها، وثناء الله -جل وعلا- علىٰ الدَّاعين إليه، وفي أنها مهمَّة هٰذه الأمة أدلة ذلك كثيرة معلومة.

الله -جل وعلا- يبيِّن أن كل رسول إنما جاء داعيًا ومنذرًا ومبشرًا، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب]، وبيّن أن السبل سبل الأنبياء -وهي سبيل واحد- هي سبيل الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، قال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ ﴾[يوسف:١٠٨]، وفي قوله هنا في هٰذه الآية: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، وفي الثانية: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ ما يبيِّن ما أُطلق في الآيات الأُخر في قوله مثلًا: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[الشورى:١٥]؛ بل الأكثر مما ورد في آيات الدعوة والغالبة يُنصُّ فيها علىٰ أنَّ الدَّعوة إلىٰ الله.

فإذن مطلق الدعوة ليس بمحمود حتىٰ تكون إلىٰ الله ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[النحل:١٢٥]، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ وهٰذا **هو شرط الدعوة الأول، أن تكون خالصة في توجُّهها إلىٰ الله.**

وهٰذا يحتِّم المسؤولية علىٰ الجميع في أن تكون الدعوة إلىٰ الله -جل وعلا- وحده دون ما سواه مسؤولية الجميع، وهٰذا بيَّنه الشيخُ محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد» حيث ساق هٰذه الآية عند (باب الدعاء إلىٰ شهادة لا إلٰه إلا الله)، وقال في المسائل: وقوله : ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ الدعوة إلىٰ الإخلاص، لأن كثيرين ولو دعوا إلىٰ الله يدعون إلىٰ أنفسهم أو إلىٰ شيخهم أو إلىٰ طريقتهم أو نحو ذلك.

واليوم كذلك يكون مع الدعاء إلىٰ الله لٰكِن أيضا دعوة إلىٰ حزب أو شيخ أو طريقة أو جماعة، أو نحو ذلك، ولذلك ضُرَّت الدعوة كثيرا بهذه التفرقات.

فالدعوة إلىٰ الله مسؤولية الجميع، بأن تكون مخلصة خالصة مما يفرّق، والذي يجمع في الدعوة أن نأخذ المتفق عليه منها في وسائلها، وفي أهدافها مما اتفق أهل العلم وعُرف حسنه وصوابه شرعًا بأنه بهٰذا تكون جمع كلمة الأمة.

أما المغالبة في الدعوة فإنها مضرة بالإخلاص نفسه.

والأمر الثاني أن الدعوة إلىٰ الله -جل وعلا- لا بد أن يكون فيها بصيرة، والبصيرة للقلب كالبصر للعين، والبصيرة هي العلم النَّافع، العلم الذي يكون تبليغ الدَّعوة به علىٰ وَفق ما ورثته الأمة من العلوم النَّافعة.

ولاشك أن البصيرة والعلم يتجزأ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الدعوة كذلك تتجزأ، فكما أن الإيمان أبعاض يأتي بعضُه وقد لا يأتي كله، وكذلك الدعوة أيضا متبعِّضة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متبعض ، والنصيحة متبعِّضة.. وهكذا، فإن ما كان متبعضا يعني أنه لا يتوقف بعضه علىٰ كله، فإن العلم بشيء منه يأتي الإتيان بالدعوة إلىٰ الله جل وعلا.

فإذا كان الأمر كذلك، فمن كان لديه بعض علم صحيح متيقَّنٍ منه فإنه يدعو إليه، سيما في الأمور المشهورة في الدين والإسلام من معرفة التوحيد والإتيان بالفرائض العملية الأربع -أركان الإسلام الأربع العملية-، والدعوة إلىٰ أركان الإيمان الستة، وكذلك الانتهاء عن المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، والأخلاق الحميدة التي يدعو إليها كل دين وكل عقل صحيح من الصدق ولزوم الأمانة والوفاء بالعهود، وأشباه ذلك.

هٰذه من دعا إلىٰ شيء منها مع العلم بما ذكر فإنه يكون داعيا إلىٰ الله جل وعلا.

وهٰذا يعني أن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا ليست فقط لـ: كما يسمىٰ فئة الدعاة، أو فئة العلماء، أو فئة البارزين في الأمة في التوجيه والرأي.

ليس الأمر كذلك فالدعوة إلىٰ الله مسؤولية الجميع متفرعة عن العلم، فإذا علمت شيئا مما ذكر أو علمت غيره بدليله الواضح فإن الدعوة إليه حينئذٍ مطلوبة، وهٰذا يعني الدعوة يمكن أن يقوم بها الكبير والصغير، والرَّجل والمرأة، ومَن لديه بعضُ علم، ومَن لديه أكثر من ذلك، والطَّالب والطَّالبة والكل. المهم أن تتيسَّر الوسيلة التي يبلِّغ بها الدعوة مما هو مأمون وصحيحٌ شرعًا.

الأمر الثالث: أن الدعوة تتكون من أربعة أركان:

الأول: المضمون والمحتوىٰ.

والثاني: الداعية، الذي يبلغ الدعوة.

والثالث: المدعو، الذي يخاطب بالدعوة.

والرابع: المنهاج. منهاجٌ يسارع عليه في الدعوة.

فالدعوة تشمل هٰذه الأركان الأربعة، لا يمكن أن تقوم الدعوة إلا بمضمون ومحتوىٰ يدعىٰ إليه، أيضا إلىٰ داعية وإلىٰ مدعو، وإلىٰ منهاج، وهٰذا المنهاج في داخله الوسائل.

فإذا كانت الدعوة إلىٰ الله -جل وعلا- قد أثنىٰ اللهُ علىٰ أصحابها وجعلهم من أتباع الرسل ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[يوسف:١٠٨]، فإن الأمر يحتاج إلىٰ وقفات عند الأمور الأربع.

وهو السؤال دائما يُطرح بل ويستشكل، وجاءت مقالات كثيرة في الصحف وبعض المداخلات مرت علينا في المحاضرات والندوات، في فهم لا أدري ما وجهه شرعا ولا كيف فهمه أصحابه ذلك، في أن الدعوة إلىٰ الله إنما هي متوجهة إلىٰ غير المسلم، وأما المسلم لا يدعىٰ إنما يرشد ويوعظ.

وهٰذا الفهم ليس بصحيح شرعا، فالدعوة أكثر موارد النصوص لفظ الدعوة، ولم يرد لفظ الوعظ إلا نزرا يسيرا ولا لفظ الإرشاد، إلا نزرا يسيرا، والأكثر الدعوة، وإطلاقها، وإن إطلاقها في النصوص يدل علىٰ عموم فيها، وكذلك الإطلاق في الدعوة إلىٰ أنواع الهدي، قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور مَن اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»، وقال: «من دعا إلىٰ خير».

وهنا «من دعا إلىٰ هدىٰ» معلوم أن الهدىٰ يتجزَّأ «كان له من الأجر مثل أجور مَن اتبعه » فدل علىٰ أن التوجه بالدعوة يكون إلىٰ المسلم وغير المسلم؛ لأنَّ الأجر المترتب علىٰ ذلك متجزئ والدعوة حينئذٍ إلىٰ هدىٰ، إلىٰ أي هدىٰ حتىٰ إلىٰ خُلقٍ حميد أو إلىٰ فضيلة من الفضائل.

والعلماء مجمعون علىٰ ذلك فيما أعلم لم يرد التفريق عند أحد من أهل العلم المتقدِّمين بأن الدعوة تكون لغير المسلم؛ بل الدعوة مطلوبةٌ لتتوجه إلىٰ من عنده خير فيزداد من الخير ومن هو دون ذلك ليزداد أكثر ومن هو أكثر ليثبَّت علىٰ الصراط وعلىٰ الطريق السوي، ومن كان غير مسلم للدخول في الإسلام .

أما الوعظ فإنه ليس بمعنىٰ الدَّعوة، الوعظ هو التخويف والتذكير. فهو شيء من الدعوة.

والإرشاد أيضا شيء من الدعوة، والدعوة أعم من لفظ الوعظ والإرشاد، فالداعية قد يكون واعظًا مرشدًا، وقد لا يكون واعظا لٰكِن يحسن الدعوة من حيث هي من حيث التعريف بهٰذا الدين كما سيأتي بيانه.

كما ذكرنا أن الدعوة تشمل هٰذه الأمور الأربعة:

أما الأول فهو المضمون والمحتوىٰ، ومضمون الدعوة ومحتواها يعني ما يدعىٰ إليه، وما يدعىٰ إليه هٰذا هو الذي يحتاج الناس إلىٰ كثيرة من البصيرة والحكمة والعلم.

أما مضمون هٰذه الدعوة فإنَّ الأصل العام في الدعوة أن تكون الدعوة لحق الله جل وعلا بأن يؤدي الناس حقَّ ربِّهم عليهم. هٰذا الأصل في الدعوة؛ ولذلك أجمعت الرسل علىٰ هٰذا الأصل، والرسل أجمعت في الدَّعوة علىٰ أربعة أمور:

الأول: الدَّعوة إلىٰ حق الله -جل وعلا- في توحيده والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله. وهٰذا معلوم بالنصوص الكثيرة كما في سورة الأعراف وفي غيرها.

والثاني: طاعة الرسول الذي أرسل.

والثالث: ملازمة التقوىٰ؛ تقوىٰ الله -جل وعلا- والخوف منه.

والرابع: الاستغفار من الذنوب.

فهٰذه أربعة أصول مهما اختلفت الشرائع فإنها دعت إليها الرسل وأكَّدت عليها، قال الله -جل وعلا- في أول سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، هٰذا واحد، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾، هٰذا الثاني وقال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾. وفي آيات أخرىٰ أن كل رسول قال: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ فالرسل أجمعت هٰذه الأمور الأربعة.

فإذن محتوىٰ الدعوة هو تحقيق الشهادتين؛ لأن الشهادتين هي لب رسالة الإسلام؛ بل هي أصل رسالة الإسلام وركنها الوثيق، بل هي كل الدين بالمعنىٰ الأعم.

فشهادة أن لا إليه إلا الله فيها الإيمان بالله توحيدا في ربوبيته وإليهيته وأسمائه وصفاته، وفيها الكفر بالذاغوت قال جل وعلا: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾[البقرة:٢٥٦].

إذن محتوىٰ الدعوة وهو ركنها الأول يكون في الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله بتحقيق التوحيد والبراءة من الشرك، ومعنىٰ البراءة من الشرك أو الكفر بالطاغوت كراهة الشرك في نفسه والكفر بعبادة غير الله جل وعلا، الطاغوت هو عبادة غير الله جل وعلا، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني يكفر بعبادة غير الله جل وعلا من عابدة الأوثان والأصنام والآلهة المختلفة ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ توحيدا له جل وعلا

وصرفا للعبادة له وحده ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ .

فإذن محتواها الأول الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله. وإلىٰ شهادة أن محمدا رسول الله، شهادة أن محمدا رسول الله كما دلت عليها النصوص تقتضي أو تشمل من حيث المعنىٰ وتقتضي أربعة أشياء:

الأول: منها أن يطاع النبي ﷺ فيما أمر.

والثاني: أن يصدق -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فيما أخبر به.

والثالث: أن يجتنب ما عنه نهىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

والرابع: أن لا يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ.

فمحتوىٰ الدعوة تحقيق الشهادتين وهٰذه كما ترىٰ تشمل الدين كله، فشهادة أن محمد رسول الله تشمل طاعة النبي ﷺ في الأوامر العبادات مشمولة بذلك المحرمات مشمولة بذلك، أنواع الإيمان بالغيبيات أركان الإيمان مشمولة بتصديقه فيما أخبر -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ثم أن لا يعبد الله جل وعلا إلا بما شرعه ﷺ فالأخلاق الحميدة العبادات والفرض النفل الأصول العامة جمع الكلمة لزوم الطاعة ملازمة السنة مجانبة البدعة كل هٰذه الأصول محوية في الحقيقية في الشهادتين، فلب الدعوة في تحقيق الشهادتين، فذا أتىٰ أهل العلم وقالوا إن لب الدعوة إن أساس الدعوة هو الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله لا تفهم علىٰ أنها أخذ لبعض هٰذا الذين وإنما مفهومها الأخذ بالدين كله لأن كلمة الإسلام شاملة لجميع هٰذا الدين.

مضمون الدعوة هٰذا لا شك أننا نجد أن فيه اختلافا مع الاتفاق عليه بكن بالتركيز والأوليات يوجد اختلاف ما بين رسول ورسول تجد أن الرسول أجمعت علىٰ الأمور الأربعة التي ذكرنا لٰكِن يكون هناك تارة تركيز علىٰ بعض الأشياء لشدة خطرها فنجد مثلا أن لوطا عليه السلام ابن أخ إبراهيم عليه السلام فإبراهيم عليه السلام عمه دعا إلىٰ التوحيد ولٰكِن التنصيص في القرآن علىٰ النهي عن الفاحشة وأنهم يأتون في ناديهم المنكر ونحو ذلك مما لم يسبقوا إليه فكان التركيز علىٰ شيء بشع مع دعوتهم أيضا إلىٰ الأصل الأصيل وهو توحيد الله جل وعلا.

شعيب عليه السلام دعاهم إلىٰ التوحيد ولٰكِن ركز في بعض الأمور عنده وهو أن لا يطففوا المكيال والميزان وأن لا يبخسوا اشياءهم وأن يقيموا الوزن بالقسط ونحو ذلك.. وهكذا في أشياء..

فدل هٰذا علىٰ أمر وهو علىٰ أن محتوىٰ الدعوة ومضمون الدعوة مع الالتزام بهذا الأصل العام وهو

تحقيق الشهادتين لٰكِن ربما يحتاج في زمان ما أو في مكان ما أن يركز علىٰ أشياء وتبرز بشدة للحاجة إليها ولخوف أن يدخل علىٰ الدين او علىٰ الإسلام أو أن ينحرف الناس في حق ربهم جل وعلا من جهة التفريط في بعض الأشياء.

لذلك مجد مثلا في العصر الحاضر الدعوة إلىٰ هٰذه الأصول التي ذكرنا مطلوبة وهي محتوىٰ الدعوة ومضمون الدعوة وما يدعا إليه لٰكِن قد نحتاج إلىٰ أمور أخرىٰ نتكلم فيها مما الناس اليوم بحاجة شديدة إليه مثل اليوم الخطر الشديد الذي يكتنف الناس من جراء بعض الدعايات التي تصْرف الناس عن فهم الدين الصحيح، أو تُوقعهم في أمور منكرة كبيرة، مثل الدعوة إلىٰ العولمة، أو التحرُّر، أو الدعوة إلىٰ تحرير المرأة، أو إلىٰ الاختلاط المذموم، أو الدعوة إلىٰ تحكيم غير شرع الله – جل وعلا – سن القوانين المختلفة، ونحو ذلك في أنحاء شتىٰ، أو كما نرىٰ فتح المجالات لمن عنده لوثات فكرية وخلل منهجي وديني في الطعن في ثوابت الإسلام، أو في أئمة الإسلام ونحو ذلك، أو في النيل من مقدَّسات الإسلام مثل النَّيل من صحابة رسول الله ﷺ، أو من أئمةٍ شهدت لهم الأمة، ورضيت عنهم ونحو ذلك، قد يكونوا في زمانٍ أو مكان في أرض الله – جلَّ وعلا – يُحتاج إلىٰ التركيز علىٰ بعض الأمور إضافةً للأصل الأصيل الذي ذكرناه، حتىٰ لا يكون هناك اختراق لهٰذا الدين من جهة فعل بعض أعدائه، أو بعض المتشكِّكين فيه.

وهٰذا مشاهد اليوم في كل مكان، اليوم ما يبث اليوم وينشر عبر وسائل الإعلام، والقنوات الفضائية، وما يكتب وينشر في الصحف ونحو ذلك يحتاجُ إلىٰ وقفة صادقة من الدعاة إلىٰ الله – جل وعلا – في مضادَّةِ ذلك، وألا يقول الداعية: إن هٰذه الأمور ليس لي دخل فيها وإنما أحافظ علىٰ الأشياء الأساسية وهٰذه ليس لي علاقة فيها.

إذا كان لا يحسنها فيترك الأمر إلىٰ من يحسنه ويعينه؛ لٰكِن المطلوب في ذلك أن يكون علىٰ وفق المنهج العام الذي سياتي بيانه.

إذن الدعوة من حيث المضمون والمحتوىٰ متجدِّدة كما ذكرنا بحسب الحاجة، فكلُّ أمور الإسلام تحتاجُ إلىٰ الدفاع عنها وتأصيلها لٰكِن بحسب الحال والحاجة والأوان، كما هو معروفٌ عند المُمارسين.

الثاني الداعية، الدعوة إلىٰ الله جل وعلا مسؤولية الجميع، إذن تهيئة الداعية لنفسه، أو تهيئة أهل

الاختصاص، من طلاب العلم، أو العلماء، أو الجهات المسؤولة عن الداعية، هٰذا أيضا مطلوب ومسؤولية الجميع، فإذا كانت الدعوة إلىٰ الله جل وعلا مسؤولية الجميع فأيضا الداعيية والمرشد والذي يبلغ أيضا تهيئته وإعداده وتدريبه أيضا مسؤولية.

لذلم نقول الداعية يحتاج الداعية إلىٰ علم، وخلق، يحتاج الداعية إلىٰ منهج، يحتاج الداعية إلىٰ بصيرة في الأمور، وهٰذه مسؤولية الجميع،

إذن العلماء هم الدعاة في الحقيقة، لكن إذا كلفوا دعاة، أو أهلوا دعاة، أو شاركهم غيرهم ممن لديه بعض العلم، ودعوة إلىٰ ما يعلم فإن عليهم هنا أن يهيِّئوا الداعية، وأن يرشدوه، وألا يكون الأمر أن يعمل بعض الدعاة دون نظر أهل العلم ونصيحتهم وإرشادهم، بل لابد أن يكون الأمر فيه تكاتف؛ لأن العلم والدعوة واسعة، ولا يمكن أن يحيط بها الجميع.

فإذا كان الأمر كذلك فلا بد في الأمر من التعاون وأساس الدعوة التعاون، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾[المائدة:٢] فإذا كان الأمر كذلك تهيئة من عنده استعداد للدعوة هٰذا يحتاج إلىٰ مسؤولية الجميع.

فالجامعات عليها مسؤولية الوزارات المختصة عليها مسؤولية، مكاتب الدعوة المتخصصة عليها مسؤولية، الذين لديهم بحوث في هٰذه الأمور عليهم مسؤولية، النصحة والبذلة في هٰذه الميادين عليهم مسؤولية لابد أن يهيَّأ الداعية.

أما أن ننظر في هٰذه الأمور إلىٰ أن فلان دعا ثم يقول الناس: وأتىٰ بعجائب، ولا يتصل به أهل العلم ليرشدوه ويسددوه، فهٰذا نقص في هٰذا الأصل أن الدعوة مسؤولية الجميع.

المشكلة اليوم عندنا في الدعوة أن هناك نقدا للممارسين للدعوة وليس هناك نصيحة ملحة مكررة حتىٰ يلتزم الجميع بالمنهاج العام، أو أن يرشدوا في ذلك.

وبتجربتي القصيرة في هٰذا المجال وجدت أن الحريص علىٰ الدعوة إن كان سليما من الهوىٰ فإنه يقبل لأن هدفه في الخير، ولم نجد يوما أن أحدا قيل له أن الذي ينبغي لك كذا وكذا وهٰذه الأمور لا تصلح وهٰذه الأمور فيها كذا ويصر علىٰ رأيه إذا اتضحت له الأمور، ولذلك لابد في تهيئة الداعية أن تكون مسؤولية الجميع.

العلماء الذين لهم حلق في المساجد ويدرسون ويعلمون هٰذا عليهم أن يهيئوا ذلبة العلم ليحملوا هم الدعوة، العلم في نشره وتدريسه جزء مهم من الدعوة لأنك تبلغ الناس الدعوة عن طريق العلم ..

الذين يحضرون حلق العلماء هل كلهم سيكونون طلبة علم ؟ ليس كذلك، سيكونون طلبة علم متمكنين يلقون ويستفتون ويسألون ويجيبون ونحو ذلك ليس الأمر كذلك.

وقد جربنا فوجدنا أن القليل يكون بارزا في هٰذا المجال؛ لٰكِن الأكثر من الطلاب يكون -إذا كان حريصًا - داعيا يبلغ ويلقي ويرشد الناس ويعلمهم في بعض العلم الذي اكتسبه؛ لأنه ليس لديه العلم القوي الراسخ ما يهيئ أن يكون من طلبة العلم المبرزين؛ لٰكِن يكون لديه بعض التميُّز في شيء.

فإذن إعداد الداعية مسؤولية الجميع، لابد أن يكون لدينا فتح المجال لتهيئة الدعاة، الأمة اليوم لحاجة إلىٰ عدد كبير جدًّا جدًّا من الدعاة.

هل نحتاج إلىٰ ألف؟ نحتاج إلىٰ عشرة آلاف الأمة تحتاج إلىٰ عشرين ألف، إلأىٰ خمسين ألف بل أكثر، لأنه ما من قرية ومحلَّة ما من مكان إلا ويحتاج إلىٰ داعية إلىٰ الله جل وعلا.

ولذلك لابد من أن يكون تهيئة الداعية منظورًا إليه في الجامعات وحلقات العلم والبحوث ونحو ذلك.

الأمر الثاني في تهيئة الداعية أن يُحرص أن يربَّىٰ في الداعية الإخلاص والصدق وأن لا يخدم في دعوته شيئا غير الدين؛ لأننا نحتاج اليوم إلىٰ جمع شمل الدعوة، جمع شمل الدعاة، إلىٰ أن يلتقي الجميع علىٰ طريق وسط معتدل يخدم الأمة ولا يكون معه سلبيات.

الاجتهادات الكثيرة في الدعوة مرَّت بها تجارب وحصل وحصل.. وقد علمنا علمًا يقينيًّا أن هٰذه الاجتهادات لم تكن في مصلحة الدعوة؛ بل عطَّلت الكثير من انتشار الدعوة، لذلك لابد من أن يكون هناك توعية ملحَّة دائمة للداعية بلزوم ما ينفع.

وأنا قلتُ مرارا لبعض الإخوة في هٰذا المجال: الأمورُ المتَّفق عليها ، المساحة الممكنة، العمل علىٰ وفق المتاح، هٰذه الأمور تستوعب جميع أعمالنا، فلماذا نذهب إلىٰ الأمور المختلف فيها، إلىٰ المضايق، إلىٰ ما للإنسان فيه رأي خاصٌّ، لطالب العلم رأي خاص، للداعية رأي خاص.

لماذا يفرض رأيه الخاص واجتهاده الخاص في الدعوة هٰذا يعطل الدعوة، الدعوة إلىٰ الإسلام، الدعوة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، الدعوة لحماية بيضة هٰذه الأمة، الدعوة لما يقرِّب إلىٰ الله جل وعلا ،

ويحمي الناس من الإنزلاق ، هٰذه المهاوي الخطيرة الفكرية واللوثات المختلفة العقدية إلىٰ آخره.

فإذن لماذا نذهب إلىٰ أمور مجتهد فيها يختلف الناس فيها، لماذا لا نعمل علىٰ وفق المتَّفق عليه، ثم علىٰ وفق المتاح والممكن.

يأتي بعض الناس في الدعوة إلىٰ خيالات، لديه طموحات وخيالات لا يمكن تطبيقها ولو هو مشىٰ فيها أو الناس مشوا فيها لتعطَّلت جهود، ثم النتيجة لا شيء ، النتيجة مرجوحة.

العمل علىٰ وفق الممكن والمتاح في أي مكان في العالم هٰذا يهيِّئ للداعية النفسية الصحيحة للبذل الإيجابي.

هٰذه نقطة مهمة جدا في تهيئة نفسية الداعي للدعوة، إذا كان الداعية في دعوته دائما نظرته سلبية فإنه لن يستمر في الدعوة، إذا كانت نظرته إيجابية في عمله؛ عنده تفاعل، عنده بذل، عنده نظر لصدق وعد الله جل وعلا بانتشار الدين وانتشار الإسلام ودخوله في كل مكان، فإن بذله حينئذ سيكون أكثر وأكثر ولن ينظر إلىٰ العوائق بقدر نظره إلىٰ المتاحات.

لدينا مساحة كبيرة متاحة يا دعاة الإسلام- فليس من الحسن؛ بل إنه المذموم أن نذهب إلىٰ أمور مختلف وإلىٰ اجتهادات مجتهد فيها لا تدل عليها النصوص، اجتهادات فردية في الدعوة، أو أمور جماعية أو أمور حزبية تعطل الصحوة العامة في الأمة.

الركن الثالث: المدعو، لا شك أن الدعوة لابد أن تخاطب مدعوِّين، والمدعوون إما أن يكونوا مسلمين، وإما أن يكونوا غير مسلمين، ولكلٍّ فئته، ولكل منهجه، ولكل أسلوب توجيه الدعوة إليه.

المدعو مسؤولية من؟ مسؤولية الجميع.

حتىٰ الإنسان في نفسه ولو كان في عمل غير صالح فإن عليه أن يوجِّه الدعوة إلىٰ نفسه.

سئل الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ فقيل له: الرجل يكون علىٰ بعض المنكر أيأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؟ قال: نعم ولو لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لم يكن عنده منكر لما أمر ونهىٰ أحد. لأنه ما من إنسان إلا ولديه تقصير، يعرف نفسه به، إما بتقصير بالإتيان ببعض الفرائض، وإما تقصير في الالتزام ببعض الواجبات، أو الاتيان ببعض ما لا يجوز، ثم يستغفر ربه وينيب إليه.

لٰكِن هنا الدعوة من جهة المدعوين لابد أن نوطِّن النفس علىٰ أنه ليس من الحَسَن في الدعوة أن يكون الأسلوب في الدعوة من جهة المدعوِّين أن يقال: هؤلاء يدعون وهؤلاء لا يدعون، هؤلاء فئة

منتخبة لا يمكن أن ندعوهم، الدعوة للناس ولا يوجه الدعوة لنفسه أو لا يسمع، ليس الأمر كذلك؛ بل كما قال الله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر] كل أحد يستمع القول فيتبع أحسنه، وما من أحد يخاطَب بالدعوة إلا ويجب عليه أن ينظر إلىٰ أن توجيه الدعوة للمدعوين هٰذه مسؤولية الجميع.

فإذا كان كذلك حثَّ علىٰ انتشار الدعوة وعلىٰ توسيع الحضور للمحاضرات، وتوسيع الانتفاع بالشريط، توسيع الانتفاع بالمطويَّة، توسيع الانتفاع الانتفاع بكلام أهل العلم، ونحو ذلك، بالوسائل الموجودة.

لٰكِن هٰذا المدعو يحتاجُ إلىٰ نوعية من الخطاب، والخطاب للمدعوِّين مسؤولية الخاصة..

إذا كان المدعو غير مسلم فإن الأمر يحتاج إلىٰ كثير من الأناة والإدراك فيما يُعرض عليه.

وليس من المناسب وهو موجود اليوم عند بعض الناس أن يُعرض علىٰ غير المسلم الإسلام جميعه، ليس الأمر كذلك.

واليوم نأتي ونجد أن الذين يعرضون الإسلام علىٰ غير المسلمين يأتون بجميع الإسلام، يأتون بالتوحيد وأركان الإسلام والأخلاق والمحرَّمات، وهذا خلاف الأصل بل هٰذا ليس من وسيلة الدعوة لغير المسلم.

الأصل في الدعوة لغير المسلم هو ما وجه به نبي الله ﷺ معاذا حينما بعثه إلىٰ اليمن كما جاء في «الصحيحين» من حديث ابن عباس أنه قال: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله» ثم قال: «وإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم .. فإن هم أطاعوك في ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم زكاة.. » إلىٰ آخره، إذن فيه ترتيب واضح لعرض الدعوة علىٰ غير المسلم، ثم في قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في هٰذا الحديث «إنك تأتي قوما أهل كتاب»، وهو في المدينة وهو سيذهب إلىٰ اليمن وكم سيذهب إلىٰ اليمن ذاك الزمان من مسافة وزمن علىٰ وسائل تلك يعني يمكن شهر أو أكثر من الزمان، لماذا قال: «تأتي قوما أهل كتاب» قال أهل العلم: ليهيئ نفسه لما يدعوهم إليه.

إذا كانت الدعوة لغير المسلم الداعية نفسه مع هؤلاء المدعوين، إذا كان يتوجه بالدعوة إلىٰ أحد من

أهل الكتاب نصراني يعرف ماذا يخاطب ما هي أصولهم؟ ما هي الشبه عندهم؟ كيف يأتي عليهم بذلك؟ كيف يوجه الدعوة إلىٰ وثني كيف ما هي الأصول عنده؟ كيف سيدخل عليه؟يهيئ نفسه.

فإذن المدعو لا بد من العناية به ومسؤولية الدعوة حينئذ لتوضيح هٰذا الأمر لجميع الدعاة والمخلصين.

اليوم نجد أن بعض الناس صُدَّ عن الإسلام ببعض الأحكام، مثل قصة أذكرها لكم واقعية كان هناك اثنان من المشايخ كان هناك رجل فرنسي، القصة هٰذه لها أكثر من عشر سنوات، أخذ يسألهم عن الإسلام فأجابوا، ثم قال لهم: أنا لو مت الآن، وأنا ما أسلمت أكون في الجنة أو أكون في النار؟

طبعا السؤال بالنسبة للسائل حرِج لأنه يعيش القلق، متىٰ يسلم.

فاختلف الشيخان عنده، وترادّ القول، هو من أهل النار، لا هو من أهل الجنة، وأصبح الحديث بينهما في جدال.

وهٰذا ينبغي أن ينتبه له، في أنه في بعض المسائل التي يكون فيها اختلاف وجهات النظر لا ينبغي؛ بل لا يصح عند من تدعوهم من غير المسلمين، لابد أن يروا أن الإسلام شيء واحد؛ لأن هٰذا في مصلحة القبول، أما إذا أحس أن هناك تنفير له من الأمر فالمسألة تختلف.

وفي هٰذه الحالة لو أتيا له بحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم كمّل بالمائة ومات وهو في الطريق فأمرت الملائكة... إلىٰ آخر الحديث المعروف، ثم كان من أهل الجنة لأنه كان أقرب انشرح صدره أكثر، الرجل وقع في نفسه الكثير من الشكوك لأجل هٰذا الحكم القاسي، وهو راغب أذكر يبحث بجد عن هٰذا الدين.

إذن محتوىٰ الدعوة فيما يوجه به إلىٰ المدعوين من غير المسلمين ينبغي أن يكون متدرِّجًا بطريقة نبيهة.

مثلا امرأة في بلد ما غربي جاءت وقالت: أنا أريد أن أسلم ولكن لا أريد أن أتحجب، أنا سأبقىٰ حاسرة الرأس ألبس ما أريد وأنا سأسلم.

فهل من الحكمة بل هل من الدين أن نقول لها: لا، لابد -وهي تريد أن تسلم- لابد أن تأتي بهٰذا الأمر وإلا لا تسلمي، هٰذا لا يقول به أحد؛ بل يؤخر الكلام أصلًا عن هٰذه المسألة.

لأنه إذا وقر الإسلام في قلبها، وعمَر قلبُها بذكر الله جل وعلا وبمحبته والإنابة إليه وذاقت لذة

الدمعة من خشية الله جل وعلا فإنها ستستجيب إلىٰ أشياء ربما لم يؤمر بها.

نحن رأينا بعض المسلمات اللاتي أسلمن -وهن في الأصل غير مسلمات- صرن في بعض المسائل أكثر من المسلمات؛ لٰكِن لو أوتي الأمر في الأول بأشياء كثيرة ليس الأمر كذلك.

أريد أن ينتبه في هٰذه الناحية من المدعوين إلىٰ المحاورات علىٰ مواقع الإنترنت والبال توك وفي بعض المواقع والرسائل الإلكترونية والمواقع الحوارية، إلىٰ هٰذه المسألة، لابد أن يكون عندنا توسيع لقبول الإسلام، وألا نجيب علىٰ كل مسألة كأن المستفتىٰ مسلمًا، وغير المسلم ويسأل سؤالا ننزله منزلة المسلم الذي يسأل فنجيبه بما هو في حكم الشرع للمسلمين ليس الأمر كذلك؛ لأن النبي ﷺ قال لمعاذ: «فإن هم أجابوك بذلك فأعلمهم» لاحظ «فأعلمهم» يعني إن لم يجيبوا فلا تعلمهم، وتأخير البيان في مثل هٰذه الأمور مطلوب لأن المصلحة تقتضيه، وتنفير الناس هٰذا أمر محرم شرعًا.

القسم الثاني المسلمين من المدعوين دعوة المسلمين ووعظ المسلمين وإرشاد المسلمين هٰذه تحتاج إلىٰ كثير من الحكمة والبيان والإدراك وسيأتي في المنهاج الكثير من المسائل.

واليوم نجد أن هدف الدعوة يغيب، هدف الدعوة هو تحبيب الدين للناس، فإذا كان كذلك فالمسلمون تختلف استعداداتهم في التقبل فما يخاطب به أهل البوادي لا يخاطب به أهل المدن، أهل المدن في أنفسهم يختلفون ما بين فئة وفئة، ما يخاطب به الأغنياء غير ما يخاطب به الناس.

هنا المسلمون لا يخاطبون خطابا واحدا؛ لأن المقصود أن تصل من الهدف من الدعوة وهو أن يحب هؤلاء ربهم جل وعلا أو أن يزدادوا حبا وأن يثبتوا علىٰ ذلك وأن يحبوا رسولهم ﷺ أو أن يزدادوا خبا في ذلك وأن يستمسكوا بهذا الأصل، وأن تقيهم من شرور الزمن والمثبطات والملهيات عن هٰذا الأصل. وهٰذا يختلف باختلاف الناس.

أناس الكلمة والموعظة تحيي فيهم أشياء كثيرة، فيه أناس لا يمكن لا يقبلوا بالكلام المعتاد.

فإذن فرعاية المدعوين والمسترشدين من المسلمين لابد أن يكون الداعية فيها علىٰ وعي، وهٰذا مسؤولية الجميع لابد أن يكون هناك إدراك لتنوع الخطاب بتنوع المخاطبين، الذي نتخاطب به فيما بيننا طلبة العلم وأهل العلم، ربما لا يصلح للعامة، فالعامة يحتاجون إلىٰ موعظة عامة لا يحتاجون إلىٰ أحكام تفصيلية وأمور دقيقة وتفصيل في الاستدلال والأدلة، يحتاجون إلىٰ شيء يوقظ فيهم الإيمان، ويجعلهم يحبون هٰذا الإيمان أكثر ويستمسكون به، وتضيق معه مجاري الشيطان في أنفسهم، وإذا كان

الأمر كذلك فهٰذه مسؤولية عظيمة. لا أسترسل في ذكرها لضيق الوقت.

الأمر الرابع والأخير: منهاج الدعوة ووسائل الدعوة، منهاج الدعوة هو المهم قال جل وعلا في الأنبياء عليهم السلام: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨] النهج والمنهاج: الطريق الذي يسلك عليه، الطريق الذي يسلك، السبيل الذي يسلك في الدعوة. الاجتهادات كثيرة متنوعة في هٰذا السبيل، فما هي الأصول العامة لهٰذا المنهج؟

لهٰذا نقول هنا بهذا الصدد:

أوَّل المعالم أن يهتم بأصل الأصول، وهو **توحيد الله جل وعلا، والالتزام بالسنة**؛ لأن هٰذه هي أساس الملة وأساس الدين أن يوحد الله جل وعلا، وأن يطاع رسوله ﷺ.

الأمر الثاني: أن **يُحذر من البدع ووسائلها**؛ لأنَّ السنة ولزوم السنة أصل، وما من بدعة تحدث إلا وتذهب معها سنة، إذا استجاب الناس للبدعة أو تُسوهل فيها فإنهم سيزهدون في سنَّة، لذلك قال بعض السلف: إنه ما من بدعة تحدث إلا رُفعت معها سنة.

وهٰذا واقع مشاهد، بل إن عمل المبطلين المخالفين للنَّهج هو أشبه بالمضادة لسنة الأنبياء والمرسلين.

فعمل السَّحرة والمشعوذين وما أشبههم هٰذا مضاد للملة، ملة الرسل جميعًا، وللإسلام العام؛ لهٰذا قال جل وعلا في قصة موسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾[الأعراف] قال بعض أهل العلم: إلقاء العصا هو إلقاء ما حمله موسىٰ -عليه السلام- من السُّنَّة والدعوة، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ دِلالة عامة علىٰ أنه ما يأتي به الرسل يُبطل عمل المفسدين، وهكذا السنة تبطل عمل المبتدعين، فإذا تساهلنا في عمل المبتدعين ذهب بعض السنة فصرنا مقصرين في حقِّ رسول الله ﷺ.

والأمر الثالث: أنَّ الدعوة تحتاج إلىٰ تدرُّج الدعوة، لا يمكن أن يأتي بها جميعًا، إما أن تأتي جميعًا، وإما أن تذهب جميعًا، لا بد فيها من التدرج والأناة، التدرُّج فيها أن تكون الدعوة شيئًا فشيئًا، لا نأتي في مكان ونطلب من الناس كل شيء، أو نأتي من شخص يريد أن يستفيد ونأتي فيه بكل شيء، هٰذا يجوز، وهٰذا لا يجوز، يعظم عليه الخطب فيقول: كل هٰذه الأمور في حياتي أتركها، وكل هٰذه سألتزم بها،

فيصعب عليه الأمر.

فإذن التدرج يحمل معه التسهيل، فإذا كان هناك تسهيلا فإن الاستجابة ستأتي، ولا تقل: إن في ذلك تفريطًا لبعض الدِّين، ليس الأمر كذلك؛ لأنه إذا استجاب فإنه سيبحث عن الدين، وأنتم ابحثوا عن أنفسكم، أو الكثير يبحث؛ فإنَّ المرء كلما ازداد علمًا أو كلما ازداد محبَّةً لله جل وعلا ولرسوله ذهب إلىٰ المحاب ليمتثلها ويتلزمها.

والأمر الرابع: أن يكون هناك رعاية لما يُسمَّىٰ في العصر بالفقه، فقه الدعوة.

أولًا فقه الأولويات، وهي ما يقول عنها أهل العلم: البُداءة بالأهم فالمهم، ما معناه أنه لابد فيه أُولي شيئًا أولىٰ من شيء، هناك شيء أهم من شيء، هٰذا لا بد من ترتيبه، وهو مسؤولية الجميع بأن نعمِّم الوعي بفقه الدعوة، نعمم الوعي أن نزيد الوعي بفقه الدعوة إلىٰ الله جل وعلا.

النوع الثاني من الفقه فقه السياسة الشرعية. الدعوة تحتاج إلىٰ التعامل، التعامل مع مَن؟ التعامل مع الحكومات، التعامل مع جهات مسؤولة، التعامل مع مسؤولين، التعامل مع التجار، التعامل مع العامة، التعامل مع خاصة، التعامل مع عقلاء، التعامل مع غير العقلاء.

هٰذا التعامل، فقه التعامل، ينتج عن ماذا؟ عن فقه السياسة الشرعية، كيف يُساس الناس بالشرع؟ هٰذا مطلوب.

فإذن مَن فاته فقه السياسة الشرعية سواء كان فردًا أو مجموعة تدعو إلىٰ الله جل وعلا بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فإنه حينئذٍ ستفوتهم حقيقة الدَّعوة في منهاجها النبوي الكريم.

لذلك نجد أن المنهاج النبوي -الوقت يضيق عن ذكر الأدلة والشواهد علىٰ ذلك- مليء بوجود السَّياسة الشرعية في الدعوة إلىٰ الله جل وعلا.

الثالث في فقه الدعوة، وهو منهاج أصيل فيها أن نعلم أن فقه القوة والضعف في حال الأمة أساسٌ في الدعوة إلىٰ الله جل وعلا، مَن جعل الدعوة إلىٰ الله جل وعلا أمرًا واحدًا أو في حال قوة الأمة أو ضعفها أو في حال ظهور السنة أو ضعفها، أو في حال قوة حال أهل الحق أو ضعفهم، فليس من أهل الدعوة إلىٰ الله.

فلذلك نجد أن من أنواع الفقه التي ينبغي للعلماء وطلبة العلم أن يُحييوها في الدعاة وفي الشباب فقه القوة والضعف، هل كان الفقه الذي مع النبي ﷺ في مكة هو الفقه الذي كان معه في المدينة؟

ما أشد الفرق ما بين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾[ص]، وكذلك قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف]، وبين قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة:٧٣]؛ أي الحق هٰذا أو هٰذا؟ كلها حق، لكن هٰذه في موضعها وأوانها وزمانها ومكانها، وهٰذه في موضعها وأوانها وزمانها ومكانها.

فإذًا الأمة حتىٰ في الأحكام والتصرفات والمواقف، لا بد من التفريق بين فقه الضعف وفقه القوة؛ إذا جعلنا الأمر أمرًا واحدًا نعتبر سورة براءة هي الآن التي تطبق، أو آيات المائدة أو غير ذلك، نجعلها هي الآن تطبق ونقول للمسلمين في كل مكان: هٰذا هو لأنها نسخت ما قبلها. فليس هٰذا هو الفقه السليم.

ولذلك كان المحققون من أهل العلم يرون أنه في باب السياسة الشرعية وفي باب الدعوة ليس هناك نسخ، النسخ في الأحكام، أما في باب السياسة فحيث تكرَّرت العلة فيقوم المعلول، إذا تكرَّرت العلة التي من أجلها قال الله -جل وعلا- لنبيه: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ﴾؛ فإنه يتكرر الأمر في لزوم هٰذا الخلق ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ﴾، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣] والنبي ﷺ حاله في مكة مهما قالوا معه صبر واحتسب ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾[الأحقاف:٣٥]، ونحو ذلك من الأصول العامة.

فإذن من أنواع فقه الدعوة في المنهاج الأصيل أن نحيي هٰذه الثالث، وهي مهمة جدا جدا اليوم مع اشتداد هٰذه الأزمات وعدم حصول الدعوة علىٰ مبتغاه: أولا فقه الأولويات، فقه البداءة بالأهم بالمهم. الثاني فقه السياسة الشرعية، والثالث فقه القوة والضعف.

الأمر الخامس في المنهاج أن نعلم أن خطاب الدعوة لابد من تجديده، واليوم هناك مَن يستعمل هٰذه العبارة؛ تجديد الخطاب الديني.

تجديد الخطاب الديني لها وجهان:

- إما أن يكون المقصود تجديد المحتوىٰ.
- وإما أن يكون المقصود تجديد وسيلة الخطاب وطريقة الخطاب وفقه الخطاب.

أما إن كان المقصود تجديد المحتوىٰ، فهٰذا باطل؛ لأن دين الله جل وعلا ثابت لا يتغير.

وإذا كان المقصود تجديد الخطاب في نفسه، بأن يكون هناك رعاية لما ذكرتُ من أنواع الفقه، فهٰذا

مطلوب.

مثاله: مثلًا اليوم يأتي خطيب للناس أو داعية ويُلقي خطبةً في ظل الأوضاع الحالية في الجهاد في سبيل الله تعالىٰ وحث الناس والشباب علىٰ الجهاد والبذل والتضحية في ذلك، ويأتي بالآيات والأحاديث ويفسرها ثم بالقصص ثم بالشواهد ما يجعل الجميع يثور في نفسه أداء واجب الجهاد.

لكن هنا هل هٰذا الخطاب في هٰذا الزمان ومع أناس لا مجال لهم في أن يجاهدوا الجهاد الشرعي الصحيح، النتيجة ما هي أحد ثلاثة أمور أو هي مجتمعة:

الأمر الأول: أن يجد في نفسه حسرة أنه لا يمكن أن ينقذ الأمة ولا أن يهدي الأمة إلا بالجهاد، وهٰذا تفكير غير صحيح، لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان جهاد النبي ﷺ في مكة سنين أكثر من مكثه في المدينة كان جهادها بالدعوة قال الله جل وعلا: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ ﴾، يعني بالقرآن ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾[الفرقان] جهاد الدعوة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أول رده علىٰ النصارىٰ في «الجواب الصحيح» يقول: أصل الجهاد جهاد الدعوة، وأما جهاد القتال فهو فرع عنه عند الحاجة أو الضرورة، لحماية الدعوة، وله رسالة في ذلك مطبوعة.

إذن الذي سينتج عنه أنه لن يرىٰ وسيلة لإنقاذ الأمة إلا هٰذا الطريق، فسيصيبه الحسرة والكدر وسيصيبه اليأس، فإما أن يتشدد ويغلو وإما أن ينحرف، وهٰذا واقع من التجربة، إذا شد هٰذا في نفسه.

الأمر الثاني: يجد في نفسه الحسرة فيعقبه ذكر هٰذه الأمور النظر أن كان كل منكر هو سبيل بلاء الأمة ولا بد أن نجاهد، ثم يأتي فينظر إلىٰ أن الحكومات فيها كذا وكذا فيكون في قلبه غل علىٰ ولاة الأمر أو غل علىٰ العلماء ويقول: ما أدوا واجبهم والشر ينتشر من جراء هٰذا التحميس الذي لم يرع فيه نوع الخطاب وفقه الخطاب.

الثالث: أن يكون هناك ذهاب، يقول: أنا أجاهد فيأتيه أحد فيقول: أتريد أن تجاهد فعندنا جهاد، فيذهب به إلىٰ دهاليز معروفة فينتج عنها ليس الجهاد وإنما طريقة الخوارج أو أشباه الخوارج.

فإذن المتحدّث فاته هٰذا الفقه، فاته تجديد الخطاب بأن ينزل الخطاب منزلة يفهم منه الناس فإنه هو عنده حدود، يقول: نعم أنا أتكلم عن الجهاد، لا.

قابلت عددا من الدعاة أو الخطباء في هٰذا الصدد يقول :لا ، أقول له يا أخي أنا أعلم أنك طالب علم

وفيك الخير والبركة، وأعلم أنك لك حدود تصل إليها وتعلم أن هٰذه النصوص الشرعية والأشياء التي أتيت بها لها حد تقف عنده أنت، لكن في خطبتك أو في محاضرتك أو نحو ذلك ما أتيت بتفاصيل تبين تمام الأمر وألا يلتبس الأمر عند الناس في أحكام الجهاد أو في أحكام المسائل الأخرىٰ.

فأنت الآن تعرف الحدود لكن المتلقي هل يعرف الحدود؟

فإذن لماذا لم تذكر الحدود ولم تذكر تفاصيل الأمور التي معها لا يبحث الناس إلىٰ أشياء شتىٰ.

فإذن تجديد الخطاب الديني إذا كان معناه أن يرعىٰ أنواع الحكم أن يجدد نوع الخطاب بمعنىٰ أن يخاطب الناس بما ينفعهم وأن يحذرهم مما يضرهم، أن يحذر مما يؤدي بالناس إلىٰ الغلو في الدين، أو إلىٰ عدم الفهم، أن يحذر من تلبيس الناس أن يسعىٰ في بث الفأل والإيجابية في الناس، هٰذه أمور مطلوبة.

ولذلك كان من فوائد هٰذا المعرض -الفائدة ربما غير الظاهرة منه- أنها تعطي للمسلم الفأل، من زار المعرض ورأىٰ عشرات الآلاف يزورون هٰذه المعارض، كل واحد يأخذ وسيلة يرىٰ أنه يمكن أن يخدم الإسلام بوسيلة من الوسائل وينشرح صدره، هٰذا والله التزم. وهٰذا صلىٰ، وهٰذا ترك منكرًا، هٰذه امرأة تحجبت إلىٰ آخره، يرىٰ أنه فعلًا أنه أدىٰ وهٰذا هو الذي ينبغي لنا أن نوسع المجال في هٰذا السبيل.

علىٰ العموم هناك أمور أخر لم أذكرها في المنهاج..

نسأل الله جل وعلاأن يجعلني وإياكم ممن يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وأن يجنبنا العثار في الكلم والعمل، وأن يمنحنا البصيرة في دين الله جل وعلا، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا.

اللّٰهمَّ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا إنك علىٰ كل شيء قدير.

اللّٰهمَّ إنا نسألك أن تُبرم لهٰذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويعافىٰ فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء.

اللّٰهمَّ وفق ولاة أمورنا لما تحب وترضىٰ، وخذ بنواصيهم إلىٰ البر والتقوىٰ، واجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ ما فيه البر والتقوىٰ إنك جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللّٰهمَّ اغفر جمّا فإنك أكرم مسؤول، وصلىٰ الله وبارك علىٰ نبينا محمد.